

فأما دعاؤه للأمة ذلك الدعاء المطعم بالانحلال والاستسلام والمقام على الخسف فكان خيرا منه أن يدعو عليها بالموت الوَحْيِيّ، والفناء المريح، وإن كان بيته الأخير يحتمل ذلك!. انظر بعد ذلك إلى ما يقوله في ((الحرية الحمراء):

سالت من الغاب الشُّبُولَ غلى بها *** لِبَنِّ اللَّبَاءِ وَهَاجَ عَرْقُ الضيغم
يومَ النضال، كستك لون جمالها *** حُرِّيَّةٌ صيغت أَدِيمك بالدم
أصبحت من غرر الزمان وأصبحت *** ضحكت أسرة وجهك المتجهم
لينم أبو الأشبال ملاء جفونه *** ليس الشبول عن العرين بنوم
وقوله في دمشق:

وللأوطان في دم كل حر *** يد سلفت ودين مستحق

ومن يسقى ويشرب بالمنايا *** إذا الأحرار لم يُسْقَوْا وَيَسُقُوا

ولا يبني الممالك كالضحايا *** ولا يدنى الحقوق ولا يُحِيقُ

ففى القتل لأجيال حياة *** وفي الأسرى فدى لهمو وعتق

وللحرية الحمراء باب *** بكل يد مزرعة يدق

هذا شعر يحيى الموتى، ويبعث الروح في الجماد; وليس الفضل فيه لأمير الشعراء; بل للثورة التي وضعته على لسانه فغناه، وإِ أَعْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ!.

هذا مثل صغير مجمل، سقته لأدل على فرق ما بين سابق الثورة ولا حقها في الفنون الأدبية، ولا شك أن الأمر كذلك في غير الأدب من شؤون الحياة.

والأدباء بازاء الثورة صنفان; صنف تضرب بالثورة جوانحه، ولكنه يكتبها تقيُّه وحذرا، فما يكاد يخفق للثورة لواء، حتى يواكبه، وينصوى تحت ظلاله، ومن هذا الضرب السيد الحميرى وسديف بن ميمون والشعوبيون أمثال